

مفاهيم القرآن

(123) درجةً ، ومنطويًا على علوم لم تكن مألوفةً في ذلك العصر، وعلى أبعاد عديدة (1) تخفى على العاديين من الناس؛ فإنَّ الإطلاع على هذه الأبعاد والأوجه والحقائق كان يقتضي أن يتصدى لشرحها وتفسيرها وبيان مفاهيمها العالية جليلها ودقيقها: النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أو من يليه في العلم والكفاءة والمؤهلات الفكرية صيانةً من الوقوع في الاتجاهات المتباينة، والتفاسير المتعارضة التي تؤول إلى المذاهب المتناقضة والمسالك المتناحرة - كما حدث ذلك في الأمَّة الإسلامية - مع الأسف. ولو سأل سائل: إنَّ القرآن الكريم يصف نفسه بأنه كتاب مبين إذ يقول: (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ) (المائدة: 15). كما يصف نفسه بأنَّه نزل بلسان عربي مبين فيقول: (وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) (النحل: 103). ويقول في آية أخرى بأنَّ الله سبحانه وتعالى يسره للذكر حيث يقول مكرراً: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ) (القمر: 17، 22، 32، 40). ويصرِّح في موضع آخر بأنَّه سبحانه يسره بلسان النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: (فَإِنْ زَمَّ يَسَّرْنَا نَزَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (الدخان: 58). ومع ذلك كيف يحتاج إلى التفسير والتوضيح، وما التفسير إلاَّ رفع الستر وكشف القناع عنه؟. كيف يحتاج إلى مبيِّن ومفسِّر قد قال الرسول الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيه: "إنَّ القرآن يفسر بعضه بعضاً". وقال الإمام عليّ - عليه السلام - في شأنه: "كتاب الله تبصرون به وتنطقون به

1- ولقد أشار النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى هذا بقوله: " له ظهر وبطن وظاهره حكم وباطنه علم، ظاهره انيق وباطنه عميق له نجوم وعلى نجومه نجوم لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه " الكافي (كتاب القرآن) 2:598 - 599.